أوراق إستراتيجية

December, 2005

العراق : تعلم دروس فيتنام

Iraq : Learning The Lessons of Vietnam[1]

Melvin R. Laird[2]

ملخص : أثناء دورة ريتشارد نيكسون الأولى، عندما خدمت كوزير للدفاع، قمنا بسحب أغلب قوات الولايات المتحدة من فيتنام بينما عملنا على زيادة قدرة الجنوب على الدفاع عن نفسه، وكانت النتيجة نجاحاً حين اختطف الكونغرس الهزيمة من فكي الإنتصار بقطع التمويل لحليفنا في العام 1975، يجب على واشنطن اتباع إسراتيجية مشابهة الآن، لكن عليها هذه المرة إنهاء العمل على الوجه الصحيح .

كان Melvin R. laird وزيراً للدفاع من عام 1969 من عام 1973 ومستشاراً للرئيس للعلاقات المحلية من عام 1973 حتى عام 1974 وعضواً لممثلي المجلس " The House of representative " من عام 1952 وحتى العام 1969، ويعمل حالياً كمستشار كبير للعلاقات الدولية والوطنية في رابطة reader's digest .

ضبط السيرة "السجل بشكل صحيح "

أُنتخب ريتشارد نيكسون في العام 1968، على خلفية الإدعاء أنَّ لديه خطة لإنهاء الحرب في فيتنام .
لم يكن لديه هكذا خطة، وكان عملي كسكرتير أول للدفاع أن أُرمِّم بذلك بسرعة. والخطة الوحيدة المنصوصة كانت كلمات مختارة كنت قد عرضتها كأهداف وأفكار رئيسية للحزب الجمهوري في العام 1968، قائلاً : " بأنه حان الوقت للتقليل من أمركة الحرب".

واليوم وبعد حوالي 37 سنة من إستلام نيكسون مكتبه كرئيس وتركه الكونغرس للإنضمام إلى مجلس وزرائه ، فإن الخروج من حربٍ ما لا يزال أكثر خطراً من الدخول فيها، كما يمكنه أن يصرح بذلك الرئيس جورج بوش .
كان في مكتبي في ذلك اليوم الأول، شيئاً ما وضّحَ مهمّتي. الأول كان الحجم المضاعف لمجموعة من المجلدات في خزنتي والتي احتوت التاريخ السرّي لزحف الولايات المتحدة لأجل الدخول في الحرب التي جرت على مرأى من سلفي Robert .Mc Namara، ولم يبق التقرير سرياً طويلاً فسرعان ما تسرب إلى نيويورك تايمز، التي لقّبته بأوراق البنتغون .

---

[1] **Foreign Affairs**/ November , December 2005.

[2] **MELVIN R. LAIRD** was Secretary of Defense from 1969 to 1973, Counselor to the President for Domestic Affairs from 1973 to 1974, and a member of the House of Representatives from 1952 to 1969. He currently serves as Senior Counselor for National and International Affairs at the Reader's Digest Association.

وكنت أرجع إلى أوراق Mc. Namara لأعطي الشهادة لمن يستحقها، ولم أقرأ كل التقرير عندما انتقلت إلى المكتب، وكنت قد أمضيت سابقاً سبع سنوات في اللّجنة الفرعيّة في لجنة الدّفاع المعنيّة بالميزانيّة مستمعاً إلى Mc. Namara مبرراً التصعيد للحرب.

أما كيف دخلنا فيتنام ، فإن ذلك لم يعد مهماً لي " على الرغم ، وباستعراض للماضي، أن تلك الأوراق قدمت مثلاً لموضوع كتاب عن كيفية الإعتراف بجبروت الجيش الأمريكي" .
والنبذة الأخبارية الثانية، كانت عبارة عن وثيقة سرية، وهذه الأخرى كانت أقصر ومزعجة إلى ما لا نهاية . كان طلباً عمره سنة واحدة، من الجنرال وليم وستمورلاند ، لأجل رفع إلتزام الجيش الأمريكي في فيتنام من 500 ألف إلى 700 ألف .
وفي الوقت الذي قدم فيه الطلب ، كان وستمورلاند قائد القوات الأمريكية هناك . وما أن وصلت الفكرة إلى أذني الرئيس، ليندون جونسون، حتى أصبحت أيّام وستمورلاند معدودة في سايغون، لقد دفعه جونسون إلى أعلى، ليصبح رئيساً لهيئة الأركان، وهكذا يمكن للبيروقراطية في البنتاغون أن تخفف من فلسفته المبالغ فيها أثناء الحملة الرئاسية المقبلة.
وقد بقيت هذه الملاحظة منسية في مكتب وزير الدفاع ، لا مرفوضة ولا موافق عليها، وما أن بدأ أسلوبه في المكتب حتى أعطاني ذلك إقتناعاً كبيراً لرفض ذلك الطلب رسمياً، وكانت تلك البداية لأربع سنوات من الإنسحاب من فيتنام وبالعودة إلى الماضي، وقد أصبح ذلك وصفاً لموضوع كيف على جيش الولايات المتحدة أن ينطلق مسرعاً.
إن الذين لم يكونوا هناك يمكن أن يختلفوا بالنسبة لهذا الوصف، إلا أنه كانوا مُضَلّلين بواسطة أكثر من 30 سنة من الدوران حول فيتنام وان الإرث الناتج لذلك التضليل ترك الولايات المتحدة قلقة من الحرب ، ومعارضة بعمق حتى للفصل في قضية مماثلة، مع الشك بقدرتها، على الخروج من حرب في حال دخلت في واحدة .
كل ما يحتاجه الأمر هو الهمس ب " فيتنام أخرى" وها أن الثمرة قد أينعت، وقد بقيت صامتاً أمام هؤلاء على مدى ثلاثين عاماً لأني لم أكن اعتقد أبداً أن على الحارس القديم أن يتدخل في عمل الإدارات ا لجديدة، خصوصاً في وقت الحرب . إلا أن الطعن ا لمتجدد لدورنا في فيتنام في ضوء الحرب في العراق، إستفزني حتى أتكلم .
إن البعض من يجب عليهم أن يعرفوا، بشكلٍ أفضل، جعلوا من تدخلنا الحالي الأخير في العراق مجموعة من رجال المستنقعات الذين يختلسون النظر خارجاً ويعانون من كوابيس فيتنام التي لا تزال تعاودنا .
إن صفوف المضللين تشمل سياسيين محنّكين، وصحافيين، وحتى متمرسين اكتسبوا أساليبهم في فيتنام، ولكنهم منذ ذلك الحين استعملوا تلك الحرب كمنبر للإنذار لتشكيل سياسة خارجية أمريكية منعزلة. إن هذا المعسكر من المتحذلقين يشمل السيناتور إدوارد كيندي الذي أطلق على العراق إسم "فيتنام جورش بوش".
إن هؤلاء الذين يتمرغون بالحماسة المحزنة إنسانياً لفيتنام يريدوننا أن لا نكون فقط قليلي الكلام، لمساعدة بقية العالم، وإنما أيضاً خجلين من قدرتنا على فعل ذلك، وملئين بالشك بقيمة نشر الديموقراطية وتفوق الحرية نفسها، إنهم يضمون أصواتهم مع أولئك الذين يدعون أن الحرب الحالية تدور كلها حول النفط، وكأنما خسارة ذلك النفط ليس كافياً لتهديد الأمن العالمي ليستوجب أي تدخل عسكري أمريكي وبخاصة ليس فيتنام أخرى.
إن الحرب الفيتنامية كما رأيتها أولاً من مقعدي في الكونغرس وبعد ذلك كوزير للدفاع، لا يمكن لفّها بعلبة مرتبة ونظيفة ووضع بطاقة عليها تقول "فكرة سيئة" .
لقد كانت أعقد من ذلك بكثير خليط من الخير ومن الشر والتي تحوي العديد من الدروس القيمة لتعلمها . وحتى الآن فإن الدرس الوحيد الذي يبدو أنه يثبت هو ذاك الذي يبدأ وينتهي بـ"لا تذهب إلى هناك" .
إ ن الحرب في العراق ليست "فيتنام أخرى" ولكنها يمكن أن تصبح كذلك إذا تابعنا باسترجاع آلام فيتنام الشديدة بينما نتجاهل دروسها الحقيقية.
إني أوافق واحترم الإنفعالات الطبيعيّة، لأولئك الذين حاربوا في فيتنام، وأولئك الذين خسروا أحبائهم، وأولئك الذين تظاهروا كما احترم تضحيات أولئك الذين ماتوا بسبب اتباعهم أوامر أشخاص مثلي، بعيداً في النصف الآخر من العالم .
إن هذه المشاعر الطّبيعيّة، تستشعر مرة أخرى عندما يموت شبابنا ونسائنا في العراق وأفغانستان.
إني لا أستطيع، أن أتكلم عن الموتى وعن الغاضبين، إنَّ صوتي هو صوت صانع السياسة الذي قرر مرة ماهية الأسباب المستوجبة للحرب التي لأجلها تقوم، وكم قد تطول هذه الحرب، ومتى كان وقت العودة إلى الوطن .
وكان الرئيس بصفته قائدنا الأعلى لديه المسؤولية الكاملة لصنع قرارات الحياة أو الموت بالتشاور مع الكونغرس، ويجب أن يكون وزير الدفاع الحامي لهذه القرارات وإلا عليه أن يرحل.

لقد حان الوقت لنظرة مسؤولة لكل من العراق وفيتنام، وما يمكن للسابق أن يعلمنا للاحق. إن منظوري يأتي من خدمتي العسكرية في المحيط الهادئ في الحرب العالمية الثانية. وما زلت أحمل شظايا في جسدي من هجمة كاميكاز على مدمرتي USS Maddox" ومن تسع دورات في ممثلي المجلس الأمريكي " U.S. house of representative" وأربع سنوا ت كوزير دفاع لنيكسون .
إننا اليوم نستحق رؤية للتاريخ على اساس حقائق بدلاً من تحريفات عاطفية أومن الخط الحزبي لسياسيين منهكين يلعبون على العواطف، وإني لا أقدم مشهداً ورديا لحرب فيتنام كما إني لا أفوّت حقيقةً إنها كانت فصلاً تراجيدياً "محزناً" غير إداري، وبشعاً في تاريخ الولايات المتحدة مع الخسارة المدمرة للأرواح مع كل الأفرقاء، ولكن يوجد في أمتنا من يفضل نكأ الجراح بدلاً من شفائها. إنهم يتحينون الفرص للهرولة بعيداً عن شيطان فيتنام، ما أن ينذروا لتدخل مسلح آخر، بالنسبة إليهم فإن فيتنام هي عبارة عن صك تأمين يدعي ضمان السلام في الوطن ، طالما لم نغامر في الخارج مرةً أخرى.
إن أفكاراً مغلوطة معيّنة عن ذلك الموضوع تحتاج إلى أن تكون مكشوفة، لأجل إرجاع الثقة بقدرة بناء أمّة الولايات المتحدة.

الثبات على الخطة .
إن الحقيقة عن فيتنام التي ينساها المؤرخون المراجعون بما يلائم أغراضهم ، أن الولايات المتحدة لم تخسر عندما انسحبت عام 1973، في الحقيقة لقد اغتصبنا الهزيمة من فكي الإنتصار بعد سنتين عندما قام الكونغرس بقطع التمويل المخصص لفيتنام الجنوبية، والذي كان يسمح لها بمتابعة الحرب على عاتقها، وعلى مدى أربع سنوات من دورة نيكسون الأولى، صممت لجذر طريقة الإنسحاب بأكثرية قواتنا بالتزامن مع تعزيز قدرة جنوب فيتنام للدفاع عن نفسها .
وفي تلك الأثناء كان زميلي وصديقي هنري كيسنجر قد فاوض على اتفاق قابل للعيش بين فيتنام الشمالية والجنوبية والذي وُقّع عليه في كانون الثاني 1973.
وقد سمح ذلك للولايات المتحدة بأن تسحب بالكامل جيوشها القليلة المتبقية، كما سمح للولايات المتحدة وللإتحاد السوفييتي بمتابعة تمويل حلفائهم في الحرب على مستوى معين . وسُمح لكل قوة عظمى أن تدفع مقابل تبديل جيشها وأجهزتها .
إن الوثائق المفرج عنها من الملفات التاريخية لشمال فيتنام في السنوات الأخيرة أثبتت أن السوفيات انتهكوا المعاهدة من اللحظة التي جف فيها الحبر. بإستمرار إرسال أكثر من مليار دولار في السنة إلى هانوي.
وإن الولايات المتحدة بالكاد لازمت كمية المساعدة العسكرية المسموحة لمدة سنتين ، وذلك كان جزءاً طفيفاً ليس إلا من الإسهام السوفييتي .
حتى ذلك الوقت خلال تلك السنتين كان الفيتناميون الجنوبيين متمسكين بشجاعتهم بشكل عظيم ضد عدو ممول بشكل أفضل . وقد استمرت محادثات السلام بين الشمال وا لجنوب حتى ذلك اليوم من العام 1975 عندما قطع الكونغرس التمويل وانسحب الشيوعيون من المحادثات ولم يعودوا أبداً .
وبدون تمويل الولايات المتحدة فإن فيتنام الجنوبية تبعثرت بسرعة، ولقد وفرنا 297 مليون دولار ليس إلا سنوياً وفي العملية التي قضت على فيتنام الجنوبية فإ ن فيتنام كانت قادرة على مواصلة الحرب بدون جيوشنا منذ 1973 .
لقد اعتقدت حينها وما زلت اعتقد حتى اليوم أن تقديم موارد مالية خارجية كافية كان سيجعل فيتنام الجنوبية قادرة على الدفاع عن نفسها، تماماً كما اعتقد أن العراق يستطيع أن يفعل الشيء ذاته الآن . ومن هجوم Tet في العام 1968 وحتى سقوط سايغون في العام 1975 ، لم يخسر الفيتناميون الجنوبيون أيّة معركة رئيسية ، لقد كان هجوم Tet نفسه نصراً لفيتنام الجنوبية، إذ دمّر الجيش الفيتنامي الشمالي الذي خسر 289 ألف رجل سنة 1968 وحدها، وإلى ذلك الحين فإن التصوير الإعلامي الفائق لهجوم Tet والحرب بعد ذلك كانت هزيمة للولايات المتحدة ولحكومة سايغون، وتماماً بنفس الأسلوب، فإن التصوير الإعلامي الفائق لحرب العراق هو فاشل وعديم الجدوى .
لقد قدمت فيتنام للولايات المتحدة سمعة عدم دعمها لحلفائها. إن عار فيتنام ليس أننا لم يكن علينا التواجد هناك في المقام الأول ولكن لأننا خُنَّا حلفائنا في النهاية. لقد كان الكونغرس هو من أدار ظهره للوعود التي قطعها في إتفاق باريس .
إن على الرئيس ووزير الخارجية ووزير الدفاع أن يتشاركوا باللوم لأنهم في النهاية لم يثبتوا على تعهدات أمتنا المقطوعة لفيتنام الجنوبية . إن أياً من الرئيس أو من مسؤولي مجلس الوزراء ا لذين رُفضوا من قبل الكونغرس عندما سُئلوا عن التمويل لمسألة تتعلق بالأمن الوطني أو الدفاع لم يحاولوا وببساطة بقوة وبشكل كاف .

لا يوجد أي عذر لذلك ا لفشل ، وفي سنواتي الأربع داخل البنتاغون وعندما كان الدعم الشعبي في حرب فيتنام في الحضيض. فإن الكونغرس لم يرفض أياً من الطلبات لجهود الحرب أو لبرامج وزارة الدفاع.
كانت هذه اللحظات عصيبة ولكني نلت الأصوات والمدخرات . إن علاقة وزير الدفاع مع الكونغرس تأتي ثانياً بالنسبة لعلاقته فقط مع الرجال والنساء بالبذلة العسكرية، إن على كليهما الوثوق بالكونغرس كما عليهما أن يعلما أنه يحترمهما. و ان لم يكن الأمر كذلك فإن الكونغرس لن يموّل، كما أنَّ الجنود والبحارة والفريق الجوي لن يتبعوا الأوامر .
كان دونالد رامسفيلد صديقي لأكثر من أربعين سنة، وقد ذهبت مع جيرالد فورد إلى Evanston لدعمه في سباقه الأول نحو الكونغرس .
وإني أجبرت ا لرئيس بوش على تعيينه وزيراً للدفاع إلا ان إ طمئنانه الزائد، ونموذج ثقته الذاتية، في كل مسألة وهو ما حببه إ لى الإعلام ولكنه لم يكن كذلك مع الكونغرس خلال دورته الأولى .
فقد أخبرني أصدقائي في الكونغرس أن رامسفيلد خفّف من أسلوبه مؤخراً وأصبح أكثر احترافاً بشكلٍ حكيم، إن العديد من الوزراء أثناء خدمتي في لجنة الخزينة والمتسابقين على طول الخط لتولي المنصب من شارلي ولسون ، وحتى كلاك كليفورد وقعوا في خطأ الظن أنَّ عليهم أن يظهروا بمظهر الأذكى بكثير من المسؤولين المنتخبين والذين يقدمون تقاريرهم إليهم . إن هذا الأمر لا ينجح دائماً .

إذا كان رامسفيلد يريد شيئاً من أولئك المنتخبين لصنع قرارات للشعب الأمريكي عند ذاك عليه أن يستمر بإظهار الفرق أكثر للكونغرس. وإذا قام بخلاف ذلك فإنه سيخاطر بالدعم الشعبي وبمصدر التمويل لحرب العراق ومتطلباته المستقبلية .
إن علاقة نزقة مع الـ Capitol hill قد يقضي على كل الجهود . إن أهمية هذا التآزر بين الكونغرس والإدارة لم يغب عن بال صدام حسين كما لم يغب عن المتمردين ، وفي الأيام التي قادت إلى غزو الولايات المتحدة للعراق، عرضت المحطات التلفزيونية هناك هرب موظفي دعم السفارة الأمريكية في العام 1975 نحو المروحيات على سطح السّفارة الأمريكية في سايغون . لقد كانت رسالة صدام لشعبه أن الولايات المتحدة لا تحفظ عهودها وأننا فقط جيدون كما هي كلمة رئيسنا الحالي جيدة . لقد فشلنا في تسليم الدعم اللوجستي لحلفاءنا في جنوب فيتنام خلال فترة واتر غيت المشهورة بسبب العطب في القيادة، في واشنطن .
إن فشل إحدى الإدارات بالحفاظ على الوعود لادارة أُخرى، كان له تأثير مدمر على مفاوضات الشمال وا لجنوب ، ولا يوجد أي ضمانات لإستمرار ديموقراطية مناصرة. إننا نقوم بصنع تعهدات مستقبلية للعراق على أُسس تقريباً يومية. إن هذه التعهدات يجب أن تكون مفهومة الآن حتى يمكن حفظها لاحقاً إ ن كل مناوشة في جبهة الوطن، والتي تشي بالإفتقار إلى التكاتف حول العراق سوف يقدم للمتمردين أملاً كبيراً وتخاطر إلى ما لا نهاية بالرجال والنساء ا لذين أرسلناهم إلى العراق ليقاتلوا في هذه الحرب لأجلنا .
إ ننا الآن ملتزمون بنتيجة طيبة في العراق، ولكن يجب أن يكون مفهوماً أن ذلك سيتطلب مساعدة لمدى طويل وإلا فإن جهودنا ستذهب هدراً .

الفيتنامية كمثال :
على طول تخلينا عن حلفاءنا ، كان هناك فاجعة أخرى لفيتنام، وهي أمركة الحرب وإن هذا ينذر بأن يكون فاجعة عراق أيضاً . لقد تعهد جون ف. كيندي بضع مئات من المستشارين العسكريين لسايغون . ورأى جونسون جنوب شرقي آسيا كمكان لوقف انتشار الشيوعية ولم يدخر مالاً ولا موظفين لذلك . وفي الوقت ا لذي ورثت الحرب مع نيكسون في العام 1969 كان يوجد هناك أكثر من مليون جندي أميركي في جنوبي فيتنام وأكثر 1.2 مليوناً من الجنود والبحارة والموظفين الجويين الأمريكيين يساندون الحرب من حاملات الطائرات ومن القواعد العسكرية في الأوطان المجاورة وفي البحر .
كانت الحرب بحاجة إلى أن تعاد إلى الشعب الذي كان يهتم بها، أي "الفيتناميّون"، وكانوا بحاجة إلى مال وتدريب الولايات المتحدة، ولم يعودوا بحاجة إلى الدم الأمريكي بعد ذلك .
لقد أطلقت إسم "الفيتنامية" على برنامجنا ، وعلى رغم الرافضين فإني لم أتوقف عن الإعتقاد بأن ذلك فعل فعله، إن إعادة انتخاب نيكسون العام 1972 كان في جزء كبير منه على أساس التقدم نحو إنهاء التورط الأمريكي المباشر في الحرب وإنهاء سحب وترسيخ الخدمة العسكرية التطوعية الكاملة.

وقد جعل جورج ماك غوفيرن، منافسه تلك السنة، من الحرب مسألة أولية لحملته مدعياً أن الديموقراطيين- الحزب في السلطة ا لذي صعَّد الحرب إلى مستوى لا يُطاق - هم الجماعة الأفضل لإخراجنا من هناك ، وقد خسر ماك غوفيرن لأن الشعب الأمريكي لم يوافقه على ذلك .
علينا أن نضع ثرواتنا والدعم الشعبي الثابت العزم خلف برنامج " العرقنة" ، بحيث نستطيع الخروج من العراق ونترك العراقيين بموقع يحمون فيه أنفسهم .
كان يجب على الحرب العراقية أن تركز على "العرقنة" حتى قبل إطلاق الرصاصة الأولى. إن البؤرة هناك الآن ، وعلى الأمريكيين أن لا يخافوا .
لقد أصبحنا متأخرين عن " الفيتنامية". ليس إ لا، و إن هناك مبادئ معيّنة اتبعناها في فيتنام، والتي يمكن أن تكون مساعدة في العراق ، إن الأمر الأكثر أهمية هو أن يجب على الإدارة أن تتلائم ومستوى ا لكفاءة لقوات الأمن العراقية ، وعندما يتطابق المستوى يجب أن يتم سحب جنود الولايات المتحدة، بأعداد مطابقة . تلك كانت طريقة العمل في فيتنام من الإنسحاب الأول لخمسين ألف جندي في العام 1969 ، إلى إطلاق آخر أسير حرب في كانون الثاني 1973، والشيء ذاته في العراق، حيث لا يجب على الولايات المتحدة أن تدع أسابيع كثيرة تمر قبل أن تظهر ثقتها بالتدريب للقوات المسلحة العراقية لاجل سحب بضعة آلاف من الجنود من البلد .
إننا ندين للشعب المتململ في الوطن ، بأن ندعهم يعلمون بأن هناك مخرجاً إستراتيجياً والأكثر أهمية، كما أننا ندين بذلك للشعب العراقي أيضاً.
لا يجب أن يكون إستعداد القوات العراقية 100% ، كما لا يجب أن تكون الديموقراطية الجديدة ممتازة قبل أن نبدأ إنسحابنا . إن الحاجة العاجلة هي أن نظهر ثقتنا لأن العراقيين يمكنهم رعاية العراق بطُرقهم الخاصة.
إ ن وجودنا هو ما يغذي التمرد وا لعصيان وإن إنسحابنا المتدرج سوف ينمي الثقة والقدرة للعراقيين المعتدلين ليثبتوا أمام التمرد . لقد قدمت نفس النصيحة للرئيس نيكسون بالنسبة لفيتنام منذ يومنا الأول في المكتب . وكوزير للدفاع اتخذت المبادرة في ربيع 1969 لتغيير حالة مهمتنا في فيتنام، من جهة وضع ضغوط قصوى على العدو ومن جهةٍ أخرى تقديم المساعدة القصوى لجنوب فيتنام لتخوض معاركها الخاصة .
بعد ذلك أصبح المعارضون لإنسحابنا هم الفيتناميون الجنوبيون الذين تحولوا إ لى معتمدين بطريقة ما على قوّة جيشنا، والذين ركنوا إلى وهمٍ بنصرٍ تام لجنوب شرقي آسيا، باستعمال الجبروت الأمريكي . وحتى لو كان هذا النصر محتملاً، فإنه كان من الخطأ أمركة الحرب منذ البداية وتلك النقطة هي التي جعلت صبر الشعب الأمريكي ينفذ .
وحتى مع تواصل المد للرأي العام المضاد للحرب ، فإ ن الإنسحاب لم يكن مسألة سهلة داخل إدارة نيكسون .
وقد أُعلنت جولتنا الأولى من الإنسحابات بعد مجابهة بين نيكسون ورئيس فيتنام الجنوبية (Nguyen Van Thieu) في جزيرة مد واي، في حزيران 1969، وقد لطفت مسبقاً من الضربة لـ Thieu لزيارته في سايغون في شهر آذار وأوضحت له النقطة من أن السدادة قد سُكّرت. لقد أراد جنوداً أمريكيين أكثر ، كما كان يريد ذلك تقريباً كل واحد في سلسلة القيادة الأمريكية من منصب رئيس هيئة الأركان ونزولاً .
وعند كل جولة من انسحاب الجنود من فيتنام فإن joint Chiefs كانوا يقترحون عدداً بائساً على أساس اعتقادهم بأنهم ما زالوا بحاجة لأن يربحوا الحرب . وقد دفعت تلك الأرقام صعوداً ودائماً بالتشاور مع الجنرال Creighton Abrams ومن ثم مع قائد القوات الأمريكية في فيتنام .
وحتى نيكسون الذي كان قد وعد بانهاء الحرب ، كان يوافق على كل طلب من الإنسحاب الجنود بحقد . وقد تطلب ذلك أربع سنوات لإرجاع نصف مليون جندي إلى الوطن . وفي بعض الأحيان، بدا أن حليفي الوحيد كان الجنرال Abrams ولقد فهم ما لم يفهمه الآخرون : أن صبر الشعب الأمريكي على الحرب قد نفذ.

إن بوش لا يعمل تحت معوقات مشابهة في حربه، فقادته يشاركونه هدفه بترك العراق يعتني بنفسه ما أن تصبح الديموقراطية الناهضة جاهزة . وإلى هذه اللحظة لا يزال هناك صبرٌ في الوطن لأجل تحمل مرحلي وعملي.
وفي الحقيقة فإ ن الأصوات المعبرة بصبرٍ كبيرٍ عن إنسحابٍ حكيم والأكثر دعماً لتقدم الجنود العراقيين تأتي من داخل الجيش الأمريكي . وإن هؤلاء الناس هم أيضاً الأكثر شوقاً لأن يروا المهمة قد نجحت ، والأكثر إستعداداً لأن يروا ذلك حتى النهاية .

وهم أيضاً الواقعين تحت خطر كبير ، وهم من طُلب منهم أيضاً أن يخدموا ليس فقط جولة قتال واحدة، وإنما جولات مضاعفة . إنهم مكرسون وملتزمون لمهمة تتدرّج من المعركة الأشد إلى الأعمال الأكثر ثانوية في بناء الوطن، ويجب أن نستمع إليهم ونثق بهم.
وفي خلال تلك الأربع سنوات من "الفيتنامية" ، فإني لم أقدم وعداً علنياً أبداً، لن استطيع الوفاء به لعدد الجنود الذين سنسحبهم . ويجب على الرئيس بوش أن يتقدم إلى الأمام بنفس التوكيد، كما لم أعلن أيضاً عما كانت عليه مستوياتنا الاستعداديّة بين الجنود الفيتناميين الجنوبيين، تماماً كما لا يجب على بوش أن يضع مستوياته للتصميم عندما يصبح الجنود العراقيون جاهزون ليسيروا بمفردهم. وفي تقرير للكونغرس في تموز عام 2005، فإن البنتاغون ألمح إلى أن هذه المستويات المعيارية هي في مكانها، وعلى كل حال، فإنه سيكون من الخطأ بالنسبة للرئيس أن يتّكل على الأعداد بشكل منفرد، وبدلاً من ذلك فإن قائده الأعلى في المعركة يجب أن يكون له القول النهائي بالنسبة لعدد الجنود الأمريكيين الذين يمكنهم العودة إلى الوطن بشكل يتناسب مع استعداد القوات العراقية . وإ ذا لم يثق بوش بحكم قائده كما وثقت بالجنرال Abrams فيجب عليه إستبداله بآخر يثق به، ويجب أن تكون تلك الثقة واصلة إلى الشعب الأمريكي أيضاً هذا إذا كانوا صبورين مع إنسحابٍ منظم لجنودنا .

العذر المنتحل للحرب :
في مسألة الثقة هذه ، فإن بوش هو خارجها في بداية سيئة، فنيكسون كان لديه نفس المشكلة، إن كلاً من الحرب الفيتنامية والحرب العراقية، إطلقتا على أساس فشل إ ستخباراتي وربما خداعٌ مطبق، إن المسألة كانت بارزة أكثر بكثير في قضية فيتنام، حيث أن الزلات الإستخبارية ، تولدت من فشلنا بفهم ما الذي حرك Ho Chi Minh في العام 1950، لو أننا فهمنا العمق لقوميته ربما كنا قادرين على إخراج شيوعيته عن السكة باكراً .
إن العذر المنتحل غير المعروف للقفز إلى الأمام في حرب فيتنام، كان حادثة خليج Tonkin كانت مدمرتي القديمة U.S.S Maddox تجوب خليج Tonkin وتبعد مسافة 25 ميلاً عن شاطئ فيتنام الشمالية في 2 آب 1964، عندما هوجمت من قبل 3 زوارق بطوربيدات لفيتنام الشمالية .
إ ن ذلك الهجوم المنفرد كان يمكن أ ن يؤخذ أو يُقبل على انه تم سهواً ، ولكن بعد يومين من ذلك فإن U .S. S Maddox ثم انضمت إليها لاحقاً U.S.S Turner Joy أوردتا في التقارير أنهما يتعرضنا للهجوم مرةً أخرى .
ومن كل ما استطعت أن أحدده عندما قرأت الرسائل المستعجلة بعد خمس سنوات كوزير للدفاع، أنه لم يكن أن يكون هناك هجوماً ثانياً، كان هناك إرتباك وهستيرياً وخطأً في التواصل في ليلة مظلمة . وأن الرئيس جونسون ووزير الدفاع Mc Nomara أما تعامياً عن الخطأ الإستخباري وإما أخطآ بتفسيره، ثم حرّكها Mc Nomara بسرعة نحو الـ Capitol Hill مع تصريح بأنها كانت اختصاراً لحرب ولكنها انتجت حرباً على كل حال . وإني صوّت مع 501 من الزملاء في مجلس الممثّلين وفي مجلس الشيوخ لحلحلة مسألة خليج Tonkin التي كانت تذكرة جونسون لتصعيد دورنا في فيتنام . وحتى ذلك الحين كانت الولايات المتحدة طرفاً مشاهداً وطرفاً سرياً محارباً وطرفاً ناصحاً .
وفي العراق، وعند الحماقة الاستخباريّة العظيمة بما اختص بأسلحة صدام للدمار الشامل غير الموجودة والتي كانت أو لم تكن في النهاية الباعث الحقيقي لبوش للذهاب إلى الحرب . وبالنسبة لرؤيتي للمشهد، فإنه كان من الأفضل أن نكتشف أن صدام لم يتقدم كثيراً كما كنا نظن بتطوير أسلحة الدمار الشامل، من أن نكتشف متأخرين أنه قد فعل . ومهما كانت الحقيقة عن أسلحة الدمار الشامل في العراق ، فإنه لا يمكن القول أن الولايات المتحدة إنزلقت تدريجياً وبشكل سري أو دون انتباه إلى داخل العراق كما فعلنا نحن في فيتنام .

تسويق المهمة :
إن خطأ السؤال عن أسلحة الدمار الشامل على العراق، قاد إلى التذمر من أن الولايات المتحدة قد جُرّت إلى الحرب تحت إدعاءات خاطئة، وهو ما ابتدأ كدفاع عن النفس وخدّر جسم الأمة . مرحباً بكم إلى واقع الحرب. انّ الحرب لا يمكن التكهن بها كما أنها ليست نظيفة ومرتبة . إن هذا الجيل من الأمريكيين قد أُفسدوا بعملية عاصفة الصحراء النظيفة والسريعة في العام 1991 عندما لائم الرئيس بوش الأول في المهمة بين تحرير الكويت وإرجاع الجنود إلى الوطن . كيف يمكن أن يبدو العراق اليوم لو أن جورج بوش الأب غيّر تلك المهمة وأمر بالزحف العسكري إلى بغداد والإطاحة بصدام ؟

الحقيقة هي أن حروباً ستسيل وأشياء ومهمات ستتغير . وهذا هو الحكم دون استثناء . لقد كان صحيحياً في فتينام وهو صحيح في العراق اليوم .
إن الهدف المبكر للولايات المتحدة في جنوب شرق آسيا كان وقف انتشار الشيوعية ومع تبدُّلات العلاقة بين الإتحاد السوفييتي والصين ، وإخماد حركة الشيوعية في إندونيسيا، فإن تهديد الإمبراطورية الشيوعية اضمحلَّ ومع عدم الإستعداد للتخلي عن جنوب فيتنام فإن الولايات المتحدة قامت بتغيير مهمتها لتصبح فصلاً خاصاً بفيتنام.
ولقد أقنع الرئيس الحالي بوش بأننا قد نجد أسلحة الدمار الشامل في العراق، وقام بما شعر أن عليه القيام به مع المعلومات المقدمة إليه . وعندما لم نجد ما يشير إلى تلك الأسلحة فإنه كان من غير المفهوم حزم دباباتنا والعودة إلى الوطن. ولذلك فإن هناك الآن مهمة جديدة ، تحويل العراق، وهي ليست خطة سيئة.
إن بوش يرى العراق كخط جبهة أمامية في الحرب على الإرهاب – ليس بسبب أن الإرهابيين يسيطرون هناك، ولكن بسبب الفرصة لأن يحل حكم إسلامي متطرف عسكري في كل المنطقة. إن قوة بوش الكبرى هي أن الإرهابيين يعتقدون بأنّه سيكون في هذه الحرب حتى النهاية. إني لا أملك صبراً نحو أولئك الذين لا يستطيعون رؤية تلك الصورة الكبيرة والذين يستمرون في النظر إلى المشهد العراقي كمحاولة فاشلة في إيجاد أسلحة الدمار الشامل .
والآن ، ولأن العراق قد وُضع على خط سير جديد، فإن بوش لديه الفرصة لإعادة تشكيل المنطقة، إن (بناء الأمة) ليست شعاراً صارخاً أو وصفاً . وبعد هجمات 11 أيلول 2001 فإنه هذا هو واجبنا .
ولسوء الحظ فإن بوش قام بعمل غير منتظم لأجل تسويق رسالته وبالتحديد منذ ان ارتاح من ضغط إعادة انتخابه. لقد خسر أرضه في المعركة لأجل الدعم الشعبي . وبالعكس، فأنا اعتقد ان الشعب الأمريكي ربما لا يزال يريد اتباع بوش، إذا كان لديه فهم واضح للرّهان.
إن الإستطلاعات الأخيرة التي تظهر دعماً صغيراً للحرب هي إشارة للرئيس من أنه يحتاج لأن يكون على مستوى الشعب الأمريكي . عندما يموت الجنود فإن القائد الأعلى لا يستطيع أن يكون خجولاً ، غامضاً أو سرياً. لقد تعلمنا ذلك في فيتنام أيضاً .

إن بوش يخسر حرب العلاقات العامة بقيامه بنفس الأخطاء الإستراتيجية التي قمنا بها في فيتنام، وقد تكلّم الجنرال Abrams مراراً معي عن إحباطه من الحرب التي صوّرها الإعلام في الوطن. وكيف تعارضت مع الحرب التي كان يراها عن قرب . وإن شعوره بالهزيمة في حرب علاقاته العامة مع 500 صحافي وزيادة متمركزين في سايغون، تأتى من خلال الإجتماعات التي جرت في مكتبه في سايغون واجتماعات سُجّلت على شرائط تسجيل. (إن نسخات من هذه الشرائط إستطاع Lewis Sorley أن يجمع نسخات من هذه الشّرائط ويحللها في كتابه الأخير ، قصص فيتنام المؤرّخة: Vietnams Chronicles : The Abrams Tapes , 1968-1972)

وتسكّع المراسلون في فييتنام وجلب عملهم الحرب الأولى المتلفزة للولايات المتّحدة، وفي تلك الحرب كانت العائلات في الوطن تقلق على الضمان الوطني لجنودهم، لكنهم لم يكونوا يروا الخطر ، لا بد أن أمهات وأباء الجنود الأمريكيين الذين خدموا في الحرب العالمية الثانية قد شاهدوا تقريراً حقيقياً لـ (CNN) عن (D – day) على نسق فيلم Saving Private Rayan وربما لم يكونوا قد فكّروا بأن أوروبا تستحق الخلاص.
لقد أقترنت عملية عاصفة الصحراء مع شبكات الأخبار على مدى 24 ساعة للمرة الأولى. إن إلتصاق الصحفيين بوحدات القتال في العراق بعد 12 سنة، كان فكرة سديدة ولكن عنت أن الإصابات تُلتقط على شريط تسجيل ليعاد عرضه في نشرات الأخبار آلاف المرات، إن الموت لعشرة مدنيين في تفجير إنتحاري يعاد عرضه ويحلل ، وهكذا يصبح المعادلة النفسية لموت 10.000 شخص .
إن الخطر لجندي واحد اسير على شريط يصبح تهديداً لكل شخص لديه إبن أو أب أو أخت أو أم .
لقد أجريت الكثير من الإتصالات الهاتفية لعائلات محزونة لأجل التخفيف من خسارة حياة واحدة، ولكني أيضاً كنت في معركة ، وهي تبدو مختلفة من الداخل، ومن وجهة نظر أولئك الذين تطوعوا وتدربوا ليحاربوا لهذه الأسباب . بالنسبة لجندي فإن الإنحناء لتجنب رصاصة قناص في مدينة بغداد هو عمل يفعله كل يوم دون أن يفكّر كيف يبدو ذلك على التلفزيون كمشكلة، اذ أنّ الجندي سوف يصر كتفيه ويمشي في نفس الشوارع في اليوم التالي إن كان يؤمن بمهمته .

وبتقدمه على طريقة الكاوبوي الغربي من تكساس – يطلق النار أولاً ثم يجيب على الأسئلة لاحقاً، أو أن يقوم بالعمل أولاً ليدع النتائج تتكلم لاحقاً عن نفسها ، صرّح بوش "المهمة أنجزت!" في نهاية مرحلة القتال الكبرى لقتال العراق كان ذلك رفع لعلامة النصر للجيش، ولكن ما لبث أن أصبح واضحاً أن المهمة قد بدأت لتوها فقط .
يجب على الرئيس أن يعبّر عن أفكاره ومشاعره بوضوح برسالة ومهمة بسيطة . وتماماً كما كان الإنتشار الشيوعي واقعي جداً في الستينات ، فإن انتشار الإسلام المتشدد الراديكالي هو واقعيّ جداً اليوم، لقد كان ذلك رعباً زاحفاً حتى 11 أيلول 2001 عندما أظهر قدرةً على تهديدنا. وكان العراق مكاناً منطقياً لرد الهجوم بحكومته العلمانية وبنيته التحتية الحديثة، وشعبه الذي كان جاهزاً الإطاحة بديكتاتوره . إن جنودنا لا يحاربون هناك فقط لأجل حفظ حق العراق في التصويت، إنهم يحاربون لأجل حفظ الثقافة الحديثة، والديموقراطية الغربية ، والإقتصاد العالمي، وكل ما هو مهدد بانتشار البربرية باسم الدين .
تلك هي الرسالة ، وتلك هي المهمة ، إنها ليست صحيحة سياسياً كما أنها ليست مريحة، ولكنها الحقيقة، وأحياناً فإن الحقيقة تحتاج إلى تسويق جيد. إن كوندليزا رايس هي شخص واحد في الإدارة . وهي تفهم كما وأنها ذكرت هذه الرسالة بوضوح واستمرار . وعندما كانت مستشارة للأمن القومي. بدا الإعلام مصمماً على الحد من موضوعها المكرر ربما لأنها كانت تُفهم كحاملة ماء للرئيس ليس إلا . وكوزيرة للخارجية في موقع أفضل للكلام باستقلاليّة فانّه يجب على الإدارة أن تفعل ما بوسعها ليبقى الميكروفون في يديها .

بناء حكومة شرعية :
وكما كانت الحالة في فيتنام، فإن المهمة في العراق تدور حول بناء مجتمع جديد من تحت إلى فوق، وإن إثنين من الخبراء في فيتنام ، Andrew Trill & Jeffry Record أصدروا مؤخراً مقارنة مجهدة عن حروب العراق وفيتنام للكلية الحربية المسلحة، وأشاروا إلى أن الولايات المتحدة سعت في كلا الحربين لتأسيس حكومة أهلية شرعية .
وفي العراق كان الهدف حكومة ديموقراطية، بينما في فيتنام كان يمكن للولايات المتحدة أن تقر بأي نظام يمكن أن يطور أجندتنا للحرب الباردة .
أن هؤلاء الذين يدعون للحكومة العراقية الجديدة "بدمية" واشنطن ، لا يعلمون ما هي الدمية الحقيقية، وكما أن العراقيين بشوق لأن يحققوا أنفسهم فإ ننا كذلك نريدهم أن ينجحوا . وفي فيتنام، كتب فيليب حبيب السفير الأمريكي التقويم في عام 1967 لقد نُظّمت ووُزّعت أدوار الإنتخابات بواسطة الولايات المتحدة لتفويض السلطة لرجال فاسدين أنانيين، لم يكونوا أكثر من ديكتاتوريين في لباس رجال دولة .
تساءل صغير عن القوميين الشديدي التحمس في الشمال الذين تحللوا من روابطهم، وكأن لدى المجموعة شيئاً لتقدمه، إني لا أؤمن شخصياً أن حكومة سايغون كان مقدراً لها أن تتهاوى في أحد الأيام بسبب قلّة الأخلاق. وبشكل واضح فإن الإتحاد السوفييتي لم يعتقد ذلك أيضاً، وإلا لما واصل الحرب . إلا أنه من الصحيح ، إن إدارات الولايات المتحدة قدرت أقل مما يجب وبقسوة، الحاجة لحكومة شرعية في فيتنام الجنوبية، وبدلاً من ذلك إفترضت أن حكومة ظل وقوة عسكرية يمكن أن يربحا، وفي العراق فإن حكومة شرعية وليست واجهة زجاجية يجب أن يكون الهدف الأولوي . أن العملية غير الطّبيعيّة لكتابة التركيبة العراقية كانت مؤلمة ، ويجب على الفئات "الشقاقية" المتنوعة أن تبقى على السكة، إلا أن العملية صحيحة، والأكثر أهمية أنها تنمو في الوطن.
وفي المنظر الخلفي للصورة نستطيع النظر إ لى حرب فيتنام كقصة ناجحة- مكلفة قليلاً – في بناء وطن على الرغم من أن الديموقراطية التي سعينا إليها بفتور قد فشلت .
ومنذ ثلاثة عقود، كانت آسيا مهددة بشكلٍ حقيقي من قبل الإنتشار الشيوعي، وكانت الحرب الكورية ما زالت ذكرى حيّة وفي ماليزيا ، سنغافورة، إندونيسيا، الفيليبين وحتى في الهند، اذ كانت الحركات الشيوعية تربح موطئ قدم، وقد فشلوا في جزءٍ كبير لأن الولايات المتحدة رسمت خطاً في فيتنام، الأمر الذي شتت الذهن وامتص الثروات بعيداً مناوئها اللدود في الحرب الباردة(الإتحاد السوفييتي). وبشكل مشابه فإن التأثير لموقفنا في العراق قد أُستُشعِرَ سلفاً في الشرق الأوسط ، إذ أن الأحزاب المعارضة تطلب أن تكون مسموعة ، وتصر النساء المحجبات على صوت لها، وانسحب الجنود السوريون من لبنان، وأجرت مصر انتخابات ، وإن إ يران تتعرض لضغوطات من قبل الولايات المتحدة ومن أوروبا بشكلٍ مشابه على خلفيّة تطويرها للأسلحة نووية كما أن الأصوات المطالبة بالتغيير تؤسس في السعودية، وحتى أن هناك حركة لديها إسم "كفاية".

إن هؤلاء الطفيليين الذين سمنوا بإشاعة الجهل، والخوف والقمع في المنطقة يتلوون الآن "كالحية"، انَّ هذه خطوات صغيرة جداً ، ولكن هكذا يبدأ السباق .

المتمردون كأعداء :
إن المتمردين كانوا وهم إلى الآن العدو في كلا الحربين. إن التمرد يفشل بدون تمويل خارجي. وفي فيتنام كان المتمردون ممولين ومجهزين بشكلٍ جيدٍ وثقيلٍ من قبل الإتحاد السوفييتي، كما أنّهم اتبعوا قائداً قوياً يملك كاريزما، وهو Ho Chi Miah الذي غدّى أهدافهم الوطنية الشديدة الحماسة . أما في العراق فإن التمرد مقصور ومن دون زعامة مركزية معروفة أو نظرية إستراتيجية أو حتّى رؤية موحدة، ما عدا إخراج الولايات المتحدة من المنطقة، وإذا أُنجزَ ذلك الهدف، فإنهم سينقلبون على بعضهم، كما سبق لهم وفعلوا في عددٍ من المناوشات ، وعلى الرغم أنهم يعتمدون على تمويل خارجي، فإن المحسنين إليهم، متلونون وبدون جيوب عميقة (لا يملكون المال الكثير).
لا يوجد طريقة لحساب عدد المتمردين بالتحديد في حرب العراق، إلا أنه يظهر أنهم بالآلاف، والذي هو بمصطلحات المقارنة، تافهاً، اذ كان عدد القوات الشيوعية في فيتنام يتجاوز المليون عام 1973 وقد خسرت فيتنام الشمالية في حربها 1.1 مليون جندي، ومليوناً مدني. وكانوا مع ذلك ما زالوا مستعدين للقتال . ولم نكن نحن كذلك. لماذا ؟؟

يقول Record & Terril أن مفتاح فهم اي حرب يتغلب فيه الجانب الضعيف على الجانب الأقوى، هو مفهوم " الرهان المضاد " فكان النصر يعني كل شيء لفيتنام الشمالية، ولا يعني شيئاً للأمريكي المعتدل. وقد كانت مصالحنا الإقتصادية قليلة في فيتنام، وإن مصلحتنا الوطنية الأمنية – بمكافحة السيناريو المسيطر والذين سيجعل العالم بكامله يقع تحت نفوذ الشيوعية، لو أننا خسرنا جنوب شرقي آسيا – لم تكن تملك دعماً مالياً كافياً حتّى تتحمّل الوضع هناك.

إنها قصة مختلفة جداً في العراق ، حيث تأمل إدارة بوش أن تزرع الديموقراطية جنباً إلى جنب مع الإسلام . إن الرهان لا يمكن أن يكون أكبر على ديمقراطيّتنا الخاصة، ونعم بسبب المسألة المهمة للنفط. وإننا لسنا الأمة الوحيدة التي تعتمد على نفط الخليج الفارسي. إننا نتشارك هذا الإعتماد مع كل أمة صناعية على الكوكب . إن الصورة لإحتياطات النفط في أيدي المتطرفين الدينيين الذين لديهم فكرة طوباوية، وهي ضرب الإقتصاد العالمي والثقافة وإرجاعهما إلى الوراء لأكثر من ألف سنة، إلى فجر الإسلام .
وانّ اعتقاد بوش أنه يستطيع إبدال القمع بالديموقراطية، ليس خيال محافظ جديد، اذ أن دعمنا للديموقراطية، يعود بتاريخه إلى تأسيس أمتنا، إن الديموقراطية هي ببساطة ، أفضل لكوكبنا. وقد شهد العالم المصدوم على شجاعة الشعب العراقي الذي تحدى كل التشاؤم بالظهور علناً للتصويت في كانون الثاني 2005 رغم البنادق المصوّبة إلى رؤوسهم. إن أعداء الحرية في العراق يعلمون ما هي الرسالة القوية لباقي العالم العربي، وإلا ما كانوا ردوا بتصعيد العنف .
على الرغم من أن فيتنام ربما كانت قصّة ناجحة لما يعود لهذا التمرّد، إن التمرّد المحلي- المتصل بالفيكونغ- كان لسوء الحظ إحدى الجبهات في الحرب، والجبهة الأكبر كانت قوات فيتنام العسكرية الشمالية المعتادة .
وكان الفيكونغ مقموعين بشكل كبير بواسطة اتحاد القوة والإقناع، وإن أتحاداً مماثلاً من القوة المميتة ضد قادة التمرد العراقي، وضد محرضين للنّاس على التعاون، ويمكن أن يُطبَّق في العراق، حيث التمرد هو العدو الوحيد .
إن فيتنام يجب أن تكون حكاية منبهة عند محاربة نموذج حرب العصابات، سواءً كانت في حرب الشوارع أم في الغابات، وبالرجوع إلى ذلك الحين، فإن الجنود الأمريكيين المرعوبين وغير المدربين كانوا مجهزين برداءة ليستطيعوا السيطرة على غرائزهم ومخاوفهم .
وقد اصطاد الفايكينغ عدداً غير محدد من المدنيين الأبرياء الّذين قُتلوا دون تمييز، وكانوا من بين الفلاحين الفيتناميين الجنوبيين .
انّ بعض أسوء الذكريات التاريخية للحرب الفيتنامية، تأتي من أولئك الأشرار القساة . إن جنودنا المتطوعون في العراق هم مدربون ومراقبون بشكلٍ أفضل، إلا أن الإحتمال لذبح الأبرياء يبقى وارداً . وأن تقاريراً خرجت إلى السطح سابقاً ، تظهر جنوداً أمريكيين جفلين يطلقون النار على مدنيين عراقيين في أعمال، يمكن إرجاعها فقط إلى النظام والتدريب البائسين .

ولوقف الإنتهاكات والأخطاء من الصف العسكري سواءٌ كان ذلك في السجون أو في الشوارع فإنه يجب أن تدار العقول على مستويات أعلى بكثير مما فُعل حتى الآن . وأن يتذكروا جيّداً الدعم الشعبي غير المتوقع للملازم William Calley و الذي أُتهم بمجزرة المدنيين في قرية Mylai . لم تحصل المجزرة على مشهد مني ، إلا أن محاكمة Calley قالت ذلك .

وامتلأ البيت الأبيض بسيل من رسائل الأمريكيين المحتجين عندما ظهر أن Calley يمكن أن يكون كبش فداء ، في الوقت الذي يمشي فيه رؤساءه بحرية . إن أفضل طريقة لأبقاء أقدام الجيش شريفة تقوم بضمان أن قادتهم يعلمون أنّهم أنفسهم سوف يحملون المسؤولية لأي خرق للشرف .

بالنسبة لي، فإن فضائح السجن المدّعاة والتي ورد في التقارير أنها حدثت في العراق وأفغانستان، وبخليج غواتنامو هي تذكير مزعج لسوء المعاملة لسجناء الحرب خاصتنا، من قبل الفيتناميين الشماليين .

إن الظروف في مخيمات السجون الحالية لا تقترب في أي شيء منها من السجون المرعبة التي كانت في "هانوي هيلتون" ولكن لا يوجد أي سبب يجعلنا نربت على ظهورنا بإستحسان . ففي الدقيقة التي نبدأ فيها بنفي السجناء إلى أوطان أخرى حيث يمكن التنكيل بهم بشكل شرعي، وعندما نمسك أشخاصاً دون توجيه اتهامات أو دون محاكمة وعندما ننقل السجناء من مكان إلى آخر ، لتجنب التفتيش الدقيق في الصليب الأحمر، وعندما يموت السجناء بطريقة لا يمكن تفسيرها أمام أعيننا ، عندها نحن أمام منحدر زلق نحو اللاإنسانية التي نستنكرها .

وفي فيتنام قمت بالتأكد من أننا دائماً كنا على ارضٍ مرتفعة بما يعود لمعاهدة سجناء الحرب "العدو" فقد فتحت مخيمات سجوننا بشكلٍ واسعٍ للمفتشين الدوليين كي نستطيع أن نطلب الشيء ذاته من هانوي، أمّا في العراق فلا يوجد سجناء حرب أمريكيين ممسك بهم في مخيمات من قبل المتمردين. يوجد فقط ضحايا لجرائم قتل تُركت أجسادهم المقطوعة الرؤوس لنا، حتى نجدها.

إلا أن ذلك لا يعطينا الرخصة لأن نكون قساة بالمقابل.

الحرب المحدودة .

إن قادتنا في العراق يمكنهم الإستفادة من أمرٍ آخر من فيتنام: يبدو أنه من غير المحتمل للرئيس بوش أن يتأثر بالرأي العام، وإنما سوف يأخذ الحرب إلى حيث يفر العدو برأسه. وفي فيتنام قمنا بحرب على الأرض في الجنوب، ولم يسمح ذلك لجنودنا بالعبور إلى داخل فيتنام الشمالية.

إن الحرب الجوية التي مورست فوق الشمال وفي لاوس وكمبوديا على نوبات وبالسر والعلن، مغطاة بالأكاذيب والمراوغة، كانت مزيفة عن طريق إستطلاعات للرأي أكثر منها بسبب الحاجات العسكرية الطارئة، وفي السنوات الأولى كانت الخدمات متناكفة الواحدة مع الأخرى . حتى أن وزارة الخارجية كان مسموحاً لها أن تعترض على الضربات الجوية . ولقد ثبَّت الرئيس جونسون دعوة متأخرة للأدوار ، وكان الجنرالات يتقاذفون المسؤوليات .

وبالإجمال فإن 2.8 مليون أمريكي خدموا في وحول فيتنام خلال الحرب . إلا أن أقل من 10% منهم كانوا في وحدات صفوف المشاة. الرجال الذين هم باعتقادنا متمرسين فيتناميين ، رجالٌ سُحبوا وأُعطوا بضع أسابيع من التدريب قبل إلصاقهم بوحدة الغرباء . ومع بعض التوقعات فإن جيشنا التطوعي بالكامل في العراق هو محرك، مدرب جيداً، ومجهز تماماً، وفي وحدات متماسكة. وليس ذلك للقول أن أي من هؤلاء الجنود يريد أن يكون هناك، إنهم لا يريدون ذلك، ولكن لديهم الدوافع أكثر بكثير للقيام بهذه الحرب مما كان عليه المجندين الإجباريين المعتدلين في فيتنام. كما أنهم جزء من جيش أذكى بكثير . والشكر لجزء كبير منه لدروس فيتنام . وفي العام 1986 فإن ادارة غولد ووتر- نيكولاس لعمل منظّمة الدّفاع مع تدخل بعض المحنكين من فريقي في البنتاغون قاموا برفع العديد من مشاكل القيادة التي أعاقتنا في فيتنام ولعقد من الزمن بعد ذلك .

لقد شجّع النظام القديم ال " he Joints chiefs of staffs "لأن يكون أي شيء ما عدا أن يكون مفصلاً . لقد حموا قبتهم الإقطاعية وامتنعوا عن التعاون مع بعضهم البعض. إن عمل ادارة غولد ووتر- نيكولاس لعمل منظّمة الدّفاع جعل السلطة المركزية في منصب The Joints chiefs of staffs كمستشار أول للرئيس ووزير الدفاع . وأن الخدمات المتفرقة حتى الآن مسؤولة عن تدريب الناس للحرب . ولكن قادة المناطق الذين يديرون الحرب يسيطرون على كل المسائل القيّمة

. إن موظفي القوى الجوية وجنود وبحارة اليوم يمكن أن يكونوا أكثر أمناً عندما يعلمون أ ن الناس الذين يصنعون قرارات الحياة والموت يمثلون توازناً أفضل بين الخبراء العسكريّين وإرادة الشعب المعبّر عنها من خلال المسؤولين المنتخبين .

إن هكذا ثقة هي حاسمة لتثبيت التطوع العسكري الكامل . وكوزير للدفاع أنهى الإنسحاب في عام 1972 ، فإني لا أرى حاجة للرجوع إلى التجنيد الإجباري ، حتى وإن كانت النظرة الآن إلى القتال قد فتّرت بشكلٍ ما الحماسة للخدمة العسكرية . وطالما أن الشعب الخدوم حالياً وفي المستقبل يعلم إلى أين يقودهم رئيسهم ، فإن المنخرطين في الجيش سيتبعونه .
وكما صنعوا في فيتنام، فإن العدو في العراق سعى لإضعاف إرادة الولايات المتحدة بواسطة إستنزاف الحرب.
وفي فيتنام، فإن تلك الإستراتيجية إنعكست بالإرادة اللامتناهية، بالرجال، وبالجيش المحنك، وبطاقة العدو في المعركة . وبطريقة مشابهة وضع المتمردين أصبعهم على ضعف للإرادة الشعبية الأمريكية واستغلوا ذلك بأقل ميزانية ممكنة، بالسلاح المختار للآلية المتفجرة المرتجلة والمشدودة على شخصٍ ما أو المحملة في سيارة أو المخبئة على رصيف شارع مسببة مذبحة تُعرض مرة بعد أخرى على الشبكات الأقمار الاصطناعيّة.

إلا أن درساً واحداً تعلمناه من فيتنام وهو غير معروف كثيراً ، وهو أن الخوف من الإصابات لم يكن المحرك الأول للشعب الأمريكي خلال الحرب.
إن الجنود الأمريكيون سيزدادون نهماً للحرب، والشعب الأمريكي سيتحمل خسارة الحياة، إذا كان لدى الصراع أهدافاً يمكن إستكمالها وإذا كانت أهدافاً مستحقة "للصراع" وإذا كانت متزاوجة مع الإدارة بشكلٍ واضح، وكانت القيادة تتعامل بصدقٍ وشرف معهم .
ولم تكن القضيّة هكذا في فيتنام عندما أمر الرئيس نيكسون بالقصف السري على كمبوديا، احتجيت بشدة، لم أعارض القصف نفسه، لأني كنت أعتقد أن على الولايات المتحدة أن تقوم بالحرب طالما أن الأمر يحتاج لذلك – وأينما كان العدو مختبئاً – أو أن لا تقوم به على الإطلاق، ما عارضته كان الخداع. كان رأيي معروفاً بشكلٍ جيد خلف الأبواب المُغلقة، وعندما إنكشف السر كما كنت أعتقد . أشير إلي فوراً وخطأً بأني أنا المسرب .
وقد وافق الرئيس على أمر كيسنجر لـ F B I بأن يسترقوا السمع على هاتف بيت مساعدي العسكري آملين بمكيدة أن يقبضوا علينا نحن الإثنين لتسريبنا أسراراً . لا يمكن الكذب على الأمريكيين وهم لن يتحملوا أسراراً ، وكما لن يتحملوا حواجزاً في مناظرة حرب . وكما في حرب فيتنام فإ نهم سوف يأخذون الأمر إلى الشارع ليسمعوا صوتهم .

كم ستكون الكلفة ؟
إن الكلفة الأكبر للحرب هي المعاناة الإنسانية إلا أن كل حرب لها فاتورة وثمن نقدي ولو كانت نادراً ما تُستشعر في الوقت الحقيقي . وكما في فيتنام فإن حرب العراق تظهر الصدوع في ماليتنا، مالية الدولة . وفقط بعد انتهاء الحرب الفيتنامية فعل الإستنزاف فعله باقتصاد الولايات المتحدة وأصبح ظاهراً .
وخلال الحرب كان إستعدادنا العسكري للقتال في الصراعات الأخرى متزعزعاً . مليارات من الدولارات أستنزفت بعيداً عن المهمات الأخرى لدعم الحرب . لقد أصبح دعم قواتنا حول العالم عملاً مشعوذاً وقد خفضت عدد جنودنا المُساندين في كوريا حتى حدود 29 ألف رجل واقنعت اليابان ببدأ دفع الفواتير للحرب العالمية الثانية، اثناء دفاع جنودنا.
وفي إستعراض للماضي فإن هاتين الخطوتين كانت لهما نتائج إيجابية للإستنزاف المالي الذي سببته حرب فيتنام . وكانت هناك العديد من الأماكن الأخرى حيث شد الحزام خنق برامج جيدة . لقد سقطت وحدات الحرس الوطني والجيش الإحتياطي في عدم الإصلاح واختار الرئيس جونسون أن يسحب غير ا لمستعدين بدلاً من استعمال الجنود الإحتياطيين والحرس والوطني والقوى الجوية المدربين، وعلى قدر ما كان السحب غير شعبي فإن ذلك كان لا يزال أسهل بالنسبة لجونسون من أن يقوم بنشر كل الحرس الوطني والوحدات الوطنية خارج مجتمعات أمريكا الوسطى . وفهكذا فإ ن الحزمة الثانية من الجنود بقيت في الوطن وشاهدوا ميزانيّتهم مكسورة . كما كان تدريبهم من الدرجة الثالثة، وأجهزتهم مستعملة.
والآن ، ومن حكمة فيتنام المعروفة فإننا اعتنقنا مفهوم القوة الكلية . وبعد عقدين من إعادة إستعمال الأدوات ، فإن أكثر وحدات الحرس الوطني والإحتياط أصبحوا مجهزين بشكلٍ أفضل للتجاوب عندما يُطلبون لعملية عاصفة الصحراء .

وإلى الآن، وبسبب الإنقياد لإرضاء جمهور الزبدة دون البندقية الناعم، فإننا لا نزال لا ننفق بشكلٍ كافٍ من ميزانيتنا العامة على الدفاع الوطني. إن G. D . P الأمريكي السنوي هو بفائض 11.5 ترليون دولار، وإن النسبة المئوية التي تذهب إلى وزراة الدفاع هي بحدود 3.74 % وفي العام 1953 ، وخلال الحرب الكورية كانت 14 % وفي العام 1968 وخلال حرب فيتنام كانت تقريباً بحدود 10% ، وهي الكمية التي ضعضعت البرامج المحلية ووضعت حداً لتخاذل الرئيس جونسون لأنه لم يستطع الحفاظ على تعهده "ببرامج إجتماعية للمجتمع العظيم" . والآن فأن أولويات نفقاتنا انتقلت إلى البرامج الإجتماعية مع 6.8 % من G. D . P يذهب مثلاً إلى الأمن الإجتماعي والرعاية الصحية . وأن ذلك هو أكثر من الضعف عما كان عليه أثناء حرب فيتنام. وإنه لن يكون سهلاً ولا شعبياً عكس النزعة لإنحدار نفقات الدفاع. ولكن الوقائع للتهديد العالمي للإرهاب والإمكانية الخارجية لحرب معتادة مع عدو مثل الصين وكوريا الشمالية ، يتطلب منا أن نزيح جانباً العميان . وإن زيادة نفقات الدفاع إلى 4% من G . D . P يمكنه أن يكون كافياً، لكن المهم وبشكلٍ خاص، هو زيادة الحصة من الشطيرة للإنفاق على جيش الولايات المتحدة، أنهم يحصلون حالياً على 24 % من ميزانية وزارة الدفاع الإجمالية ، ولكن في الوقائع الحديثة المقدمة للضمان الحديث، فإن عليهم أن يتلقوا على الأقل 24 % .
إن الجيش مشدود حالياً من خلال الميزانية السنوية والمدخرات الخاصة وإن هذا الأمر لا يمكن بأي طريقة من الطرق أن يدير خدمة عسكرية .
لقد تم تخفيض عديد وحدات الحرس والإحتياط، كما أسيء إليهم بواسطة الإنتشار العسكري، الذي أخذ أفراداً خارج وحداتهم ، ليخدموا كنظاميين فعلاً بالجيش وأن العديد منهم هم باختصاصات لم يُدرّبوا عليها .
انّ هذا العرف يأكل الروح المعنوية للإحتياطيين ، وأن حوالي 80% من طاقة الناقلين الجويين بهذه الحرب وحوالي 48 % من الجنود يأتون من وحدات الإحتياط والحرس الوطني . إن النسب المئوية المرتفعة هي جزئيّاً بسبب المهمات الاختصاصيّة لهذه الجيوش، نقل الشحن، وحفظ النظام، وإعادة بناء البنية التحتية، الترجمة، تصريف أعمال الحكومة . - وباختصار ، فريق عمل لبناء وطن جديد.
لقد تحققنا متأخرين جداً من أن قواتنا المسلحة النظامية لم تكن قد تدربت جيداً كما كان يجب في الواقع الجديد لعدو متمرد عصري . كما لم تكن المراتب العسكرية تعير إنتباهاً جدياً للإشارة أن مهمتهم في القرن 21 قد تكون بناء وطن .
إن الوزير رامسفيلد يحاول إعادة تشكيل الجيش ليكون متحركاً أكثر مع القليل من الجنود "وحدات عمل" Action Units مبنية على نموذج القوات الخاصة، إلا أنه لم يكن صادقاً مع نفسه أو مع الكونغرس والشعب الأمريكي كم سيحتاج الأمر من المال لصنع التحوّل .
إن هذه الوحدات المختصة ستكون مناسبة أكثر لحرب العصابات العصرية. ولكن الخفة والهزالة ليستا الطريقة الوحيدة لإصلاح جيشنا .وعلى الرغم أن قتال حرب العصابات يبدو أنه سيكون موجة المستقبل ، فإننا لا نزال نواجه شبحاً منقسماً معتاداً كما نواجه حرب فيالق ضد أعداء آخرين . وإن كلا الإمكانيتين مكلفتين .
ولكن نزعة الإنحدار لميزانيات الدفاع لا تعرف ذلك، وما عدا رفع الميزانية للأعلى في سنوات رونالد ريغان، خلال حرب الخليج فإن ميزانية الدفاع كانت قد بدأت على منحدر الإنزلاق، قبل أن تخصص بكميات ثابتة من الدولارات. إننا نتكلف على إستثمارات بأبحاث وتطوير أجهزة صُنعت خلال سنوات سابقة .

دعم حلفاءنا :
إنَّ نموذجنا في القيام بمعاركنا وحدنا او مع ائتلاف هامشي مستعد يكون على استعداد ليساهم في الانحدار الملتوي للمال و الموارد. و من العجيب ان نيكسون كان لديه الجواب في العام 1969. و في صميم العقيدة النيكسونية ، فقد اعلن في تلك السنة الاولى من رئاسته، عن اعتقاده ان الولايات المتحدة لا يمكن ان تذهب بمفردها. و كما قال الكونغرس في تقريره السياسة الخارجية في 18 شباط 1970ان الولايات المتحدة سوف تشارك في الدفاع و في تطور الحلفاء و الاصدقاء ، الا ان اميركا لا يمكنها – و لن يكون- ان تصور كل الخطط و ان تصمم كل البرامج ، و تقدم كل القرارات و تتعهد كل الدفاع عن الاوطان الحرة في العالم . اننا سوف نساعد حيث يصنع ذلك فرقا حقيقيا و حيث يراعي ذلك مصالحنا (طبق الاصل).
بعد 3 عقود ، سقطنا في نمط تجاهل حلفاءنا المتعاهدين معنا مثل الNATO مخاطرين بالمساعدة التي نستطيع تقديمها لحلفاءنا برمينا مواردنا المالية في حروب رفض حلفاءنا الانضمام اليها.و ان فييتنام كانت حربا كهذه تماما ، و العراق هو ايضا كذلك.
و اذا كان حلفاءنا المتعاهدين معنا عازمين كفاية و مدعومين – و هنا اشمل الامم المتحدة –فانه لن يكون لدينا مشكلة كبيرة باقناع الاخرين بالانضمام الينا عندما تتم خطتنا .

و كقوة عظمى وحيدة سيكون هناك دائما اوقاتا يجب علينا الذهاب منفردين.
ان الرئيس بوش ليس لديه رفاهية الانتظار للمجتمع الدولي للتصديق على صحة سياسته في العراق. و لكننا نملك دروس فييتنام. ففي فييتنام ، سادت اصوات الجمهور "اقطع و اركض" ولم تتوقف، وغُدِرَ بحلفاءنا بعد كل ما قمنا به لجعلهم يقفون على اقدامهم . و ان نفس الاصوات تريدنا الآن ان "نقطع و نركض"من العراق ، مؤكدين الفشل لنشر الديمقراطية هناك ، و محبطين باقي العالم الاسلامي ولاجل تركه للفوضى المقبولة من قبل المتطرفين . ان هؤلاء ينظرون الى الجانب الوردي الى ما فعلته الهزيمة بمساعدة فييتنام الجنوبية للوصول الى ما هي عليه اليوم من النمو الاقتصادي و العلاقات الدافئة مع الغرب ، لقد نسوا التكاليف الفورية لغدر الولايات المتحدة، مليونا لاجيء جُروّا الى خارج البلد ،65 الف اخرين تم اعدامهم و 250 الف ارسلوا الى "مخيمات غسل الدماغ" .و مع الطبيعة المقدمة للتمرد في العراق ومع الاهداف الكارثية للاسلام الحربي ، فاننا لا نتوقع ما هو افضل هناك.
و كواحد ممن نظم النهاية لدورنا العسكري في فييتنام ، و من ثم راى خطة عمل تتهاوى، فاني اوافق على اننا لا نستطيع ان نسمح "لفييتنام اخرى" . اننا اذا فشلنا الآن فان مثالا جديدا سَيُسَوى ، و سوف تنسى دروس فييتنام و ستكون مهمتنا العالمية التالية مسرجة بالخوف من ان تصبح "عراقا آخر".